



مقومات  
البيت السعيد

مؤلف  
محمد بن عبدالرحمن الزبير

مترجم من كتابه "مقومات البيت السعيد"

## تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد /

فيقول الله عز وجل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

﴿١٠٤﴾ (١) .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

المسلمين وعامتهم» (٢)

سمعت في إذاعة القرآن الكريم عبر برنامج "اللهم بك أصبحنا" حديثاً عن كثرة الطلاق في المملكة، وأحزني ذلك كثيراً، فكتبت هذه الورقات؛ إسهاماً في تبصير الأزواج والزوجات، مبيناً مقومات السعادة الزوجية ثم معوقاتهما، والتي يثمر عنها تحقيق السعادة الزوجية لتصبح الحياة كلها عسلاً، وليس شهراً فقط، - كما هو دارج على السنة بعض الناس، ثم عرضت ماكتبته على مجموعة من طلبة العلم الفضلاء، وأفدت منهم كثيراً، فجزاهم الله عني خيراً الجزاء.

وأسأل الله أن يوفق كل زوجين إلى كل خير، ويلهمهما الرشد والصواب، ويكفيهما شر أنفسهما والشيطان الرجيم، وشر كل دابة هو آخذ بناصيتها.

وأن يجعل ما أقوله خالصاً لوجهه الكريم، ويجزي من تفضل عليّ بقراءته وإبداء ملحوظاته خيراً الجزاء، ويجعل ذلك في ميزان حسناته، ويغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

محمد بن عبدالرحمن بن ناصر الزبير

الداعية في وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالرياض

[Alzeer9000@hotmail.com](mailto:Alzeer9000@hotmail.com)

٠٥٠٥٢٤٦٨٢٣

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم : ٥٥.

## مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد/

فقال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) (١) لقد حث الإسلام على الزواج لعمارة الأرض، لما فيه من صلاح للفرد والمجتمع، واستمرار النسل، عن معقل بن يسار- رضي الله عنه- قال: قال صلى الله عليه وسلم: ((تزوجوا الولود الودود فيأني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)) (٢). والمتأمل في الرابطة العظيمة في العلاقة الزوجية يلحظ أن الشارع الحكيم أحاطها بسياج عظيم، فجعلها من حدود الله، وعظمتها في البداية و النهاية، وسمى العقد الميثاق الغليظ. وإن خير ما يتمتع به المسلم في هذه الحياة، الزوجة الصالحة، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» (٣)، وكل إنسان ينشد ويطلب أن يعيش مع زوجته في سعادة وهناء، وهو مطلب عظيم لا يمكن الحصول عليه إلا بتوفيق الله ثم بتحقيق مقومات السعادة الزوجية، والبعد عن معوقاتهما، وهو ماسيعني به هذا الكتاب.

## مقومات البيت السعيد

هناك عبادات قد تهاون بها بعض الأزواج والزوجات، وظنوا أنه لا علاقة لها بالحياة الزوجية ولا تأثير لها، والحقيقة أن لها صلة عظيمة بالسعادة الزوجية، وأولها وأهمها:

### ١. الصلاة:

إن الصلاة هي أول هذه الأسباب، فهي أعظم عبادة بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربيه، تورث صاحبها السكينة والطمأنينة.

إن من أعظم أسباب استقرار البيوت، وفشو الرحمة والألفة بين الزوجين، والبعد عن المنغصات والمكدرات، المحافظة على

الصلاة، كيف لا! ورحمة الله تنزل عليهم قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) (٤).

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي: ٣٢٢٧.

(٣) أخرجه البخاري: ١٤٦٧.

(٤) سورة التوبة: ٧١.

ولهذا أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة إليها، كما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرّفه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقال لهم: (أَلَا تُصَلُّونَ). قال علي: فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مُدْبِرٌ، يَضْرِبُ فِخْدَه، ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ فانظر وتأمل طرّف النبي صلى الله عليه وسلم عليهما الباب ليوقظهما ليصليا نافلة فكيف بالفريضة!؟

إن المحافظة على الصلاة تحفظ المسلم والمسلمة من الوقوع في الفحشاء والمنكر التي تنغص الحياة، وتجعل صاحبها في كدر وشقاء، وعناية بالتوفاه من الأمور وإضاعة الوقت فيها، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (١). فالتقصير في الصلاة من أعظم أسباب اضطراب البيوت، وحدوث المشاكل الزوجية التي تنتهي أحياناً بالطلاق.

وتأمل أخي المبارك وأختي المباركة أن الله سبحانه وتعالى ذكر في سورة البقرة بعد آيات الطلاق قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ (٢). وهذا فيه إشارة إلى أن المحافظة على الصلاة من أهم أسباب استقرار البيوت.

ومن واقع عملي في التوعية الإسلامية ترد أسئلة عن الطلاق، فأحيلها إلى سماحة المفتي حفظه الله، وعند سؤال من وقع في الطلاق عن حاله مع الصلاة نلحظ أن الإجابة مخزنة، وأن أكثر من وقعوا في الطلاق عندهم كسل وتهاون في الصلاة. أخي المبارك وأختي المباركة: إن المحافظة على الصلاة نور في حياتك اليومية يقول صلى الله عليه وسلم «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة ويأتي يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» (٣)

## ٢. المحافظة على الأذكار:

وهي من العبادات التي تلي الصلاة، ولها عظيم الأثر في استقرار البيوت وسلامتها من المؤثرات والمنغصات، والاحتراز من شياطين الإنس والجن، الذين يتسلطون على عباد الله بالحسد تارة، وبالسحر تارة، وبالتطفل تارة، وبالبعضاء تارة، وبغيرها من الأساليب تارات أخرى.

أخي المبارك أختي المباركة كيف نتقي شر هؤلاء الشياطين الذين سخروا أنفسهم وما يملكون؛ لإلقاء شرورهم وفسادهم وإفسادهم على البيوت، وخاصة العلاقات الزوجية، إنه لا يمكن اتقاؤهم إلا بالله سبحانه وتعالى ثم بالمحافظة على الأذكار.

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٣) أخرجه أحمد: ٦٥٧٦.



شيء قدير، والمؤمن يعلم علم اليقين بأنه مهما أوتي من ذكاء وفطنة، فلا غنى له لحظة من لحظات حياته عن الله سبحانه وتعالى والالتجاء إليه.

ولذا جاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "يا حي يا قيوم برحمتك استغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين". فادع ربك قبل الزواج بأن يرزقك الله زوجة سالحة، وبعده بأن يجعل حياتكم الزوجية قائمة على المودة والرحمة والاستقامة على طاعة الله وأن يديمها على ذلك، ولتدع الزوجة أيضاً بالدعاء لنفسه.

وكلما نابتك نائبة في حياتك الزوجية أو غيرها فبادر إلى مناجاة الحي القيوم الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١). وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢).

#### ٤. قراءة القرآن

القرآن العظيم هدى وشفاء وموعظة وذكر وتبيان ونور ورحمة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١٧٤) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) ﴿٣﴾. وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) ﴿٤﴾.

أخي المبارك أختي المباركة، اليوم واللييلة أربع وعشرون ساعة، كم خصصنا لهذا القرآن العظيم من أوقاتنا؟ أم إنه يمضي علينا اليوم واليومان والثلاثة أو أكثر لم نثن ركبتنا للجلوس من أجل القرآن!! ولذا دخلت الوحشة في قلوبنا، وضعف إيماننا، وازدادت أنفسنا بعداً عن طاعة الله وانشغالاً بما لا فائدة فيه، أو بما يعود على البيوت بالضرر في الدنيا والآخرة.

إن قراءة القرآن من أعظم الأسباب لانشراح الصدر، وتيسير الأمور، والقرب من الله، وحلول البركة، وطرده الشياطين، وزيادة الحسنات، إن قراءة القرآن الكريم من أعظم التجارة الراجعة مع الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (١٩) ﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٠) ﴿٥﴾ والقرآن كله خير وبركة ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّدَّبْرُوا ءَايَاتِهِ وَلَيْسَ ذِكْرُ أُولُو

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) سورة النساء: ١٧٤- ١٧٥.

(٤) سورة يونس: ٥٧.

(٥) سورة فاطر: ٢٩- ٣٠.

الْأَلْبَنِ ﴿٢٩﴾ (١) ، و في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي: (اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة) (٢) . فهنيئاً ثم هنيئاً لتلك البيوت التي حازت بركة القرآن.

## ٥. المواصفات المطلوبة للزوجين:

### أ - الزوج

إن من مقومات البيت السعيد حسن اختيار الزوجة الصالحة فبعض الشباب عند رغبته في الزواج يوصي من يختار له من أم أو أخت وغيرها بالعناية بالجمال والحرص عليه، ويغفل عن المواصفات المهمة والتي لها الأثر الحقيقي في تحقيق السعادة الزوجية، ثم ينتج عن ذلك ندم كبير وحسرة، حيث أصبحت حياتهم غير مستقرة، بل إن بعضهم لا يكمل سنة أو سنتين إلا وقد طلق زوجته بسبب ما ظهر له من سوء خلق وتعامل سيئ؛ ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَاهُا، وَحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَوَلَدِيْنَهَا، فَاطْفُرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ "، هذا هو التوجيه الصحيح لمن أراد أن يتحقق له السعادة مع زوجته والطمأنينة والاستقرار.

وليس معنى هذا أن الزوج يغفل عن جانب الجمال بل هو مطلب من مطالب الحياة الزوجية، ولكن لا يكون هو المطلب الأول في مواصفات الزوجة، فالعناية يجب أن تكون بالمواصفات الرئيسة وهي الدين والخلق؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَاهُا، وَحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَوَلَدِيْنَهَا، فَاطْفُرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ " .

### ب - الزوجة

إن الإسلام اعتنى كثيرا باختيار الزوج قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»، لذا لا بد أن يتوفر في الزوج صلاح دينه وخلقه، وبمحافظة على أوامر الله وأهمها الصلاة وانتهاءه عن النواهي، وحسن الخلق مطلب عظيم ومهم جداً في قبول الزوج أو رفضه، وإذا توفر الرضا عن هذين الأمرين تتحقق السعادة بين الزوجين.

## ٦. حسن المعاشرة:

أخي المبارك .. إن الله سبحانه وتعالى أرشد الأزواج إلى كثير من وسائل مقومات الحياة الزوجية، فحث الأزواج على الصبر وتحمل الزوجة أو الزوجات، ولو كانوا يكرهون منهن بعض الأمور؛ إبقاءً للحياة الزوجية، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٣) . عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يفرك (٤) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» (١) وعنه أيضا قال: قال رسول

(١) [سورة ص: ٢٩]

(٢) أخرجه مسلم: (٢٠١٨).

(٣) سورة النساء: ١٩.

(٤) أي لا يبغضها بغضا يؤدي إلى تركها.

الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه،....» (٢) فلا بد من استحضار هذه الأمور، ليكون التعامل مع الزوجة وفق هذه التوجيهات النبوية.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٣)، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي: -رحمه الله- (وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجه المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال) (٤)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) (٥) تأمل أخي المبارك أخي المباركة هذه الخيرية لمن تكون؟ إنها من الزوج لزوجته ولا تتحقق هذه الخيرية إلا بحسن المعاشرة، ولا يتحقق ذلك كله إلا بالصبر بعد توفيق الله. وقد ضرب صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك كما سيتبين معنا.

فإذا أخذ الزوجان بتلك الوصايا صلحت حالهما، وعاشا عيشة هنية مليئة بالمودة والرحمة والسعادة، وإن لم تصلح الحال فهناك حلول وخطوات شرعية، نتطرق لها في ختام هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

#### ٧. الجلوس في البيت:

من المعلوم أن كلاً من الزوجين بحاجة إلى الجلوس مع الآخر؛ ليجد الأُنس والتخفيف من مكدرات هذه الحياة وهمومها، إلا أنه في الوقت الحاضر أصبح جلوس بعض الأزواج مع زوجته قليلاً جداً وأكثر وقته خارج البيت في استراحات ونحوها، ثم ما أدراك ما الذي يكون في هذه الاستراحات -والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله-، أو ربما يكون موجوداً داخل البيت بجسده لكن ينشغل بجواله أو مهام أخرى ولا يتفرغ للجلوس مع أهله، فالمرأة مع من تأنس؟ ومع من تتحدث؟ ومن سيكون لها خير معين على تربية الأولاد ومهام الحياة؟

فيا ترى هل ينتج عن قلة جلوسه في البيت زيادة في المودة؟ هل في ذلك معالجة وتخفيف للمعاناة التي تجدها المرأة من الأولاد والقيام على البيت؟ الجواب: لا. بل هي زيادة في المعاناة، ثم ينبي على ذلك ضعف العلاقة الزوجية وفي النهاية أمور لا تحمد عواقبها.

إن الأبحاث والوقائع الموثقة لتؤكد أن من أبرز أسباب مآسي الابتزاز والجرائم غير الأخلاقية التي يقع فيها بعض النساء والبنات الحرمان العاطفي من قبل الرجل نحو المرأة، والجفاف في التعامل، مما يفتح المجال أمام شياطين الإنس للتسلل إلى نفوس طرية خاوية ضعيفة فتغريها بما لا يتوقع أن تستجيب لمثله.

(١) أخرجه مسلم: (١٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري: (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

(٣) سورة النساء: ١٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٧٢

(٥) أخرجه البخاري: ٣٨٩٥.



ولو ألقينا لمحة سريعة إلى ما يجري في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم من تعامل راق، وأسلوب جميل، وتدارسنا مواقفه فيما يطرأ ويحدث في تلك البيوت واقتدينا به لصلحت أحوالنا كلها مآظير منها وما بطن.

عن عائشة رضي الله عنها قالت " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من العصر دخل على نساءه فيدنو من إحداهن" (١). المراد التقبيل والمباشرة من غير جماع.

- وأما في الليل فرمما اجتمعن في بيت واحدة منهن فيأتيهن ويحادثهن ويؤانسهن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان للنبي صلى الله عليه وسلم تسع نسوة . فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع . فكان يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها" (٢) .

فالمرأة بحاجة إلى من يؤانسها ويسمع حديثها حتى ولو لم تكن تعاني من أي شيء، فالحديث في حد ذاته مؤانسة فكيف إذا كانت تعاني من أمر أتعبها وأرهقها سواء من عمل البيت أو إزعاج الأولاد أو غير ذلك.

فحديث الزوج مع زوجته له معان وآثار في نفس الزوجة أكثر بكثير مما نتوقعه، بل نحن عنه غافلون، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة. (٣)

هل تأملت هذا أيها الزوج المبارك فرسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع زوجته في آخر الليل قبل أذان الفجر، وتأمل هذا الخلق الجميل والتعامل الراقي يتحدث معها إن كانت مستيقظة، أما إذا كانت نائمة فلا يوقظها صلى الله عليه وسلم.

- ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم هذه المؤانسة مع نساءه حتى في ليلة بنائه بزوجة جديدة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بُني على النبي صلى الله عليه وسلم بزينة بنت جحش بنجر ولحم... فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك (٤). فتقرى حجر نساءه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقبلن له كما قالت عائشة. (٥)

وكثير من الأزواج قد غفل عن الجلوس مع زوجته وأولاده بحجة الانشغال، بل بعضهم لا يرى أن لذلك داعياً، المهم أن يؤمن ما يحتاجونه، وما علم المسكين أنه المستفيد الأول من هذه الجلسات، بل إن أثرها عظيم على الزوجة ثم الأولاد في تربيتهم وسلوكهم وعواظهم والله المستعان.

## ٨. معرفة كل من الزوجين للآخر:

إن الله سبحانه وتعالى قد أعطى كلا من الزوجين مزايا وقدرات قد يغفل عنها الآخر، وأذكر أن زوجاً كان يشتكي من زوجته في أمر ما، وبعد الجلوس معه وسؤاله عن بعض أحوال زوجته، تبين أن الله قد أعطى زوجته مزايا لم يغتنمها، ولو اغتنمها

(١) أخرجه البخاري: ٥٢٦٨.

(٢) أخرجه مسلم: ١٤٦٢.

(٣) أخرجه البخاري: ١١٦٧.

(٤) أي تتبع الحجرات واحدة واحدة.

(٥) أخرجه البخاري: ٤٧٩٣.

لصلحت كثيراً من السلوكات المشينة، وزالت هذه المكدرات، وتحولت الحياة إلى ود ووثام، وفعلاً بعد جلوس الزوج مع زوجته والحديث معها الممزوج بالحب والألفة صلحت وتغيرت الحال، ثم إن كل إنسان له سلبيات وإيجابيات فلو أثنى على الإيجابيات وتجاهل السلبيات لزداد ذلك من التقارب بين الزوجين. والله المستعان.

## ٩. الرفق:

الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُجِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ). (١) وعن عائشة أيضاً قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (٢).

فالرفق في الأمور له ثمار عظيمة وكثيرة لا تتحقق إلا بضبط قوة الغضب، وضبط قوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال. ولأجل هذا أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه.

أخي المبارك أختي المباركة الرفق عام في كل شيء من الأمور الحسية والمعنوية، كالرفق في اتخاذ القرار، والرفق في التعامل، وغير ذلك كما هو واضح جلي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع من حوله. انظر إلى هذا الموقف الذي دار بينه صلى الله عليه وسلم وزوجته وأحد اليهود، (عن عائشة - رضي الله عنها - أن يهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السّام عليكم. فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» .

قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟. قال: «أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» (٣) وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أعطي حظّه من الرفق فقد أعطي حظّه من الخير، ومن حرم حظّه من الرفق حرم حظّه من الخير». (٤)

إذن فلنحذر هذا في تعاملنا في بيوتنا مع أزواجنا وأولادنا وخدمنا؛ حتى يتحقق الأُنس والطمأنينة في بيوتنا بإذن الله. (٥)

## ١٠. الصفح:

الصفح أبلغ من العفو لأن الصفح تجاوز عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذنب فقط، ولا يقتضي حصول الثواب قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٦) .، وقال تعالى:

(١) أخرجه البخاري: (٦٢٩٧) ، ومسلم (٢١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم: (٢٥٩٤).

(٣) أخرجه البخاري: (٦٠٣٠).

(٤) أخرجه الترمذي: (٢٠١٣).

(٥) بتصرف موسوعة نضرة النعيم (٢١٥٧/٦) .

(٦) سورة النور: ٢٢.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ؕ وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح). (٢)

فهذا الخلق الجميل أولى أن نتعامل به مع أزواجنا، فإذا صدر من زوجك كلمة نابية أو تقصير في حقك، فقابل ذلك بالعفو والصفح والتوجيه الحسن، ولا تقابل السيئة بالسيئة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وستجد أثر ذلك العفو والصفح في تغير أحوال زوجك بإذن الله تعالى. إذ إن الصَّفْح طاعة لله أولاً، ثم إنه من الإحسان، الذي هو أعلى درجات الإيمان، ومن أسباب سعادة المرء في الدنيا والآخرة وهو مطلوب ومبتغى كل من الزوجين. (٣)

### ١١. المعاتبة والمصارحة:

روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: معاتبة الأخ خير من فقده ، ولكن بقدر معين وفي حالات معينة، قال الماوردي -رحمه الله- : ( إن كثرة العتاب تكون سبباً للقطيعة، واطراح جميعه دليل على قلة الاكترات في الصديق).

وقد يتخلل الحياة الزوجية شيء من الكدر والمنغصات بسبب أو غيره، ولو كشف كل واحد منهما الآخر برفق ومصارحة لزالَت هذه المنغصات والمكدرات، تأمل هذا الموقف من النبي صلى الله عليه وسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبي» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: " أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبي، قلت: لا ورب إبراهيم " قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك) تأملوا كيف أظهر ما في نفسيهما وأجابها صلى الله عليه وسلم بكلمات جميلة أذهبت ما في نفسها. (٤)

فالمصارحة تزيل صدأ البغض والكراهية من القلوب، وتزيد المحبة والألفة، وتذهب نزغ الشيطان ووساوسه، وتنقي النفوس وتطهرها من ظنون الإثم، وتقوي أواصر الود والتفاهم بين الزوجين، ولكن تكون المعاتبة بقدر يسير، وبأسلوب جميل، ممزوج بشيء من المداعبات الزوجية التي تحقق النفع وتديم المودة. (٥)

### ١٢. النصيحة والتواصي:

النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً. قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَتَّ قَلْبَهُمْ حَافِظٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

(١) سورة التغابن: ١٤.

(٢) أخرج الترمذي: ٢٠١٦.

(٣) بتصرف موسوعة نضرة النعيم (٢٥٣٠/٦)

(٤) أخرجه البخاري: ٥٢٢٨، مسلم ٢٤٣٩.

(٥) بتصرف موسوعة نضرة النعيم (٣٤١٩/٨ وما بعدها).

اللَّهُ وَاللَّيْلِ نَخَافُونَ نَشْوَاهُمْ فِعْظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعْنَاكُمْ فَلَا نَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا  
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> .، وذلك بأن  
 يوصي بعض الناس بعضا بالعمل بالطاعة، وبالانتهاء عن المعصية. قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
 وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: "بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم".<sup>(٥)</sup>  
 فالنصح والتواصي مطلب مهم بين كل المسلمين وأولى الناس بذلك الزوجان، به تستقيم الحياة، ويتعدل الاعوجاج،  
 وتشاع بينهما الفضيلة، وتُستر العيوب. وهو سبب لدوام المحبة التي تنتج عنها حياة مستقرة ويرتقي كل منهما إلى معالي الأمور،  
 وإقامة الحجّة على الآخر قبل فوات الأوان، ففيها استدراكات ومعالجة للأخطاء لمن وفقه الله للاستماع للنصيحة.<sup>(٦)</sup>

### معوقات تحقيق السعادة الزوجية:

#### (١) التعامل السيء مع وسائل الاتصال الحديثة:

هذه الوسائل مما ابتلي بها الناس في هذا الزمان وفيها خير وشر، إن سوء استخدام هذه الوسائل ينتج عنه أضرار عظيمة.  
 وإذا أردت أن تعرف حجم هذه الأضرار من سوء استخدام هذه الوسائل فاسأل من وقع في مثل هذا هذه الأسئلة التالية:

١- ما مقدار الوقت الذي يقطعته كل يوم مع هذه الوسائل؟

٢- ما هذه البرامج ، والمقاطع التي قرأها أو رآها؟

٣- هل زاد إيمانه بعدها أم نقص؟ هل زادته قريبا من الله أم بعدا؟

٤- هل أثرت على علاقاته سواء مع ربه أو في علاقاته مع والديه وزوجه وأولاده؟.

أخي المبارك أختي المباركة: إن الصراحة هي الطريق الصحيح لإصلاح الأخطاء

إن إطلاق العنان لسمعك وبصرك لأن ترى وتسمع كل ما تريده، يعرض النفس للوقوع في الفحشاء والمنكر، ثم

ضعف الإيمان، ثم الإصابة بداء خطير حذر الله منه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ألا وهو الغفلة قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ

الْغَافِلِينَ﴾<sup>(٧)</sup>. فيغفل الإنسان عن الحقوق الواجبة عليه تجاه الخالق سبحانه وتعالى، ثم المخلوقين من الوالدين والزوجة

(١) [سورة النساء: ٣٤]

(٢) سورة الأعراف: ٦٨.

(٣) سورة الأعراف: ٦٢.

(٤) سورة العصر: ٣.

(٥) أخرجه البخاري: (١٤٠١)، مسلم (٥٦).

(٦) بتصرف موسوعة نضرة النعيم (٨/ ٣٤٨٩ وما بعدها).

(٧) سورة الأعراف: ٢٠٥.

والأولاد، فينشغل بالتوافه، ويتدرج في الانحدار حتى يقع في المعاصي والركون إلى هذه الدنيا الفانية وإضاعة الوقت قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف: ٢٨]. فينسى اللقاء المحتوم بينه وبين ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانَ لَهُمْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ (١).

## (٢) التهاون بالمعاصي:

من أسباب الخلافات الزوجية وحدوث انشقاقات في جدار الحياة الزوجية، التساهل بالذنوب الصغيرة واحدة تلو الأخرى، حتى يتدرج إلى الوقوع في الكبيرة. ولذا يقول الحسن البصري -رحمه الله-: "والله إني لأرى أثر المعصية في دابتي وزوجتي". نعم هكذا خوف السلف رحمهم الله من آثار الذنوب على علاقاتهم الزوجية، فهل ندرك خطورة المعاصي على بيوتنا؟!

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ» (٢) فالتهاون بالمعاصي يسبب الوحشة بين العبد وربّه، وتسلب شياطين الجن والإنس، وصعوبة فعل الطاعات، والشعور بانقباض القلب، وضيق الصدر، وفقد الراحة في بيته ومع أسرته وأولاده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ (٣).

## (٣) تدخل أهل الزوج أو الزوجة:

إن بيت الزوجية مبني على علاقات متينة لها ركنان وعمودان: المودة والرحمة، وجعلهما سبحانه من آياته الداعية للتفكير فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (٤). وهذا البناء يستمر شامخاً إذا سلم من الثقوب، ومع بداية التدخلات الخارجية تظهر تلك الثقوب التي يعقبها التفكك والضعف، إلا إذا كانت هذه التدخلات تزيد العلاقات الزوجية قوة ونشاطاً ومعالجة واثلاً وسداً لهذه الثقوب ولأماً للجروح الطارئة فأنعم بها؛ ولذا ينبغي للزوجين إذا حصل بينهما شيء من الخلاف المبادرة لعلاجه سراً بأفضل الطرق وأسهلها، وهذا أحسن طريق للمعالجة.

نموذج فريد لمعالجة ما يطرأ على بيت الزوجية، أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء، فعاصبني، فخرج، فلم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله، هو

(١) سورة يونس: ٧- ٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٣٨١٨.

(٣) سورة طه: ١٢٤.

(٤) سورة الروم: ٢١.



## ٥) التدخين والمخدرات والخمور:

إن الله سبحانه ما حرم شيئاً إلا وفيه من الأضرار الشيء الكثير، علم الإنسان شيئاً وخفى عليه أشياء، فهل التدخين من الطيبات أم الخبائث؟ هل يزيد المال أو ينقصه؟ هل تزداد صحته وقوته أم العكس؟ هل ضرره مقتصر عليه أم أنه متجاوز إلى الغير؟.

أخي المبارك وأختي المباركة: جُبل الإنسان على حب الرائحة الطيبة فتأمل رائحة الدخان الكريهة، هذا أمر، وأمر آخر ما يصحب ذلك من صحبة وجلسات غير طيبة، وألفاظ لا تليق، وأثر ذلك كله على العلاقة الزوجية. هذا بالنسبة للدخان فكيف -ولا حول ولا قوة إلا بالله- . بما هو أعظم حرمة، وأشد أثراً، وإفساداً لأخلاق الزوج، وإضاعة لعبادته وماله، وإهمالاً لزوجته وأولاده، ألا وهو تعاطي المخدرات.

أخي المبارك وأختي المباركة: تأمل فيمن ابتلي بشيء من هذه المحرمات، كيف حياتهم مع والديهم وأزواجهم وذرياتهم.

## ٦) الغضب:

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب». (١)

لنتقي الغضب لا بد أن ندرك أثره الخطير، وما ينتج عنه من أضرار لا يعلم مداها إلا الله، ضرب وإفساد للأموال، وتضييع للزوجة والأولاد وقد يصل إلى القتل.

### كيف نتقي الغضب:

أولاً: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، عن سليمان بن صرد قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم، ورجلان يستبان، فأحدهما احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه (عروق من العنق) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: (أعوذ بالله من الشيطان) ذهب عنه ما يجد. (٢)

ثانياً: عند حصول الغضب: إذا كنت واقفاً فاقعد، وإذا كنت قاعداً فاضطجع، وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخرج من مكانك إلى مكان آخر، توضأ، صل ركعتين.

ثالثاً: أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل العفو، والحلم، وأن أجره على الله. (٣)

## ٧) الكذب:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ (١). عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار) (٢) بعض الأزواج

(١) أخرجه البخاري: (٦١١٦).

(٢) أخرجه البخاري: (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠).

(٣) بتصرف: موسوعة نضرة النعيم (١١/٥٠٧٨).

فهم جواز الكذب على الزوجة فهماً خطأً حتى أصبحت حياته مع زوجته كلها كذب، والحياة القائمة على الكذب لا راحة فيها ولا طمأنينة بل يسودها الاضطراب والشكوك، والظنون السيئة، كل ذلك بسبب عدم الثقة بكل منهما. ومع الكذب تصبح الحياة الزوجية شقاء وعناء وبغضاً للآخر. لذا أخي الزوج كن صادقاً مع الله سبحانه، وصادقاً مع من تتعامل معه، تسود الألفة والمحبة بينك وبين زوجتك.

### ٨ كشف ما يدور في البيت للآخرين:

إن للبيوت الزوجية أبواباً حتى لا يرى من هو خارج البيت ما يكون في داخلها، وفي هذه الأيام لم يقتصر كشف ما في البيوت على اللسان فقط، بل تجاوز ذلك إلى توثيق ذلك بالتصوير لكل شيء وإرساله عبر وسائل الاتصال الحديثة، وتجاوزه إلى تصوير فعل ما لم يُفعل، والتزوين بما ليس موجوداً.

من المستفيد من كشف ما في البيوت للناس؟ لا أحد، بل هو ضرر كله، وتأملوا في موقف النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا قال لمن نظر إلى البيت بغير إذنه؟ كما في حديث سهل بن سعد الساعدي قال: اطلع رجل من حجر في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم مدري<sup>(٣)</sup> يحك به رأسه، فقال: «لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»<sup>(٤)</sup> هذا الجزاء من أجل المحافظة على البيوت وما يكون فيها حماية وسترًا وسلامة! هذا جزاء الناظر والمتكشِف للبيوت فكيف بمن يكشف أحواله للناس!؟

أليق بنا إخوتي أن نكشف أحوالنا للناس، أما نستحي؟ أما نخشى الله؟ أما نحذر من عين حاسد أو حديثه؟! إن لذلك آثاراً ضارة على البيوت ينتج عنها الحسد، والخلاف، والشحناء، ثم الطلاق، نسأل الله العافية.

### ٩ سوء الظن:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي الحديث: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث" متفق عليه. قال ابن قدامة: -رحمه الله- (فليس لك أن تظن بالمسلم شرًّا إلا إذا انكشف أمر لا يحتمل التأويل)<sup>(٦)</sup>. وسوء الظن بالمسلمين والمسلمات من الكبائر. قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٣) (والمدرى حديدة يسوى بها شعر الرأس وقيل هو شبه المشط).

(٤) أخرجه البخاري: (٦٢٤١)، مسلم (٢١٥٦).

(٥) سورة الحجرات: ١٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٧٢.

(٧) سورة النجم: ٢٨.



وإحسان الظن مطلوب بين المسلمين والمسلمات بعضهم ببعض وبالأخص بين الزوجين؛ فإن سوء الظن يولد الشحناء والبغضاء، ومفتاح لشور كثيرة وعواقب وخيمة، ودليل على فساد النية وسوء الطوية، وينتهي سوء الظن بين الزوجين إلى عدم الثقة بينهما، وتفسير أي تصرف بسوء الظن، ثم ينتهي إلى المفارقة بينهما. لذا يجب الحذر ثم الحذر من سوء الظن وعليك بإحسانه. (١)

## ١٠ النظر والخلوة المحرمة:

الله عز وجل أوجب على العباد أن يحصنوا فروجهم وأن يعفوا عن الحرام، وحذرهم من الطرق الموصلة إلى الزنا، وأولها النظر المحرم، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ (٢) . ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ﴾ (٣) .

وبداية هذا الشر من إطلاق العنان للبصر لرؤية ما حرم الله.. ولو تأملنا فوائد غض البصر لرأينا عجباً:

١. حلاوة الإيمان ولذته التي هي أطيب وأحلى مما تركه الله، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.
٢. نور القلب والفراسة، ولذلك ذكر الله عز وجل، عقب آيات غض البصر التي في سورة النور قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ (٤) .

٣. قوة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة.

٤. يبذل الله صاحبه نوراً يجد حلاوته في قلبه.

٥. فيه طاعة لله ورسوله يترتب عليها محبة توصله إلى الجنة.

٦. فيه راحة للنفس والبدن.

٧. يصون المحارم ويجنب الوقوع في الزلل.

٨. يجعل المجتمع المتحلّي بهذه الصّفة مجتمعاً آمناً متحاباً.

٩. يضرّ بالشيطان وأعوانه ويستجلب العقّة. (٥)

فإذا أطلق الإنسان العنان لبصره أن يرى ما حرم الله، بدأت خطوات الشيطان خطوة خطوة، حتى يقع فيما حرم الله، وقد أوضح ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه الفوائد: (دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة، فدافع الفكرة، فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها). (٦)

(١) بتصرف: موسوعة نضرة النعيم (١٠/٤٦٥٣).

(٢) سورة النور: ٣٠.

(٣) سورة النور: ٣١.

(٤) سورة النور: ٣٥.

(٥) بتصرف: موسوعة نضرة النعيم، (٧/٣٠٧٦).

(٦) الفوائد لابن القيم، ص ٣١.

فإذا أعطى أحد الزوجين نفسه هواها، من نظر محرم، أو لين في الكلام، وغير ذلك من تجاوز لهذه الحدود، فقد يقع في هذه الخطوات شيئاً فشيئاً حتى يقع في الفواحش والآثام، بعدها تتصدع البيوت، ويحل بها الخراب والدمار، وقد تصل إلى قطع العلاقات الزوجية بالمفارقة الأبدية والفضيحة بين الناس.

فعلى الزوجين أن يبذلا الأسباب التي تحقق السعادة الزوجية، والبعد عن أسباب الرذيلة، وأن يتقيا الله سبحانه بمراقبته، وطاعته، وأن يحذرا كل الحذر من خطوات الشيطان قبل حدوث أي انحراف قليلا كان أو كثيراً.

والمرأة العاقلة من تُهيئ بيتها، ونفسها، وأولادها بأحسن صورة، حتى إذا دخل الزوج وجد ما يغنيه، ويغض طرفه عن المحرمات فيسعد وتسعد زوجته معه، فهل نعي ذلك؟

إن المشكلة تحدث عند البعض سواء من الزوج أو الزوجة، عندما يقصر أحدهما في حق الآخر، ويصاحب ذلك ضعف في الدين فتبدأ خطوات الشيطان، ولذا أقول على كل من الزوجين الاعتناء بالحقوق الزوجية، والمحافظة على الطاعات التي يتحقق سعادتها وأهمها الصلاة ونوافلها، والأذكار، وغض البصر عما حرم الله تعالى.

وليس معنى هذا أن المرأة إذا قصرت في هذا الجانب كان مسوغاً لتجاوز الزوج حدود ما حرم الله، كلا وأبداً بأي حال من الأحوال، فالله جعل له مخرجاً بالطرق الشرعية، ومن اعتنى بحفظ أوامر الله تولى الله حفظه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام احفظ الله يحفظك...)(١).

وكذلك الزوج أن يتقيا الله سبحانه في حسن عشرته مع زوجته بالكلام اللطيف الجميل، والتعامل الحسن، والذي له أبلغ الأثر في سد أبواب الشر، والاكتفاء بما أحل الله.

فعلى كل من الزوجين التواصي بالمحافظة على أوامر الله سبحانه، واجتناب نواهيه، ومعرفة حقوق كل منهما على الآخر، والقيام بها، حتى تتحقق السعادة الحقيقية، ويثمر عنها البعد عن هذه المزالق والمنعطفات الخطيرة التي تؤدي بحياة الشخص وزوجته إلى الانهيار والدمار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

## **تنبيهات ومساءل قبل إيقاع الطلاق**

### **١. تعظيم أمر الطلاق وعدم التساهل به:**

الطلاق وسيلة للردع والترغيب والعلاج وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُغَنِّنَّ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيُعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَنْخِذُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُنَّ بِمَا نَكَحْتُمُوهُنَّ لَمْ يَكُن لَكُمْ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ<sup>١</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>٢</sup>﴾، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسيره: (لأنه تعالى لم ينزلها عبثاً، بل أنزلها بالحق والصدق والجد، نهي عن اتخاذها هزواً، أي: لعباً بها،

(١) أخرجه الترمذي: (٢٥١٦).

(٢) سورة البقرة: ٢٣١.

وهو التجرؤ عليها، وعدم الامتثال لواجبها، مثل استعمال المضارة في الإمساك، أو الفراق، أو كثرة الطلاق، أو جمع الثلاث، والله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقا به وسعيا في مصلحته. (١)

ومن الناس من يُطَلَّق لأتفه سبب! وعند أول شكاية بينه وبين زوجته، وبعضهم يُطَلَّق في حال الحيض، أو في طهر جامعها فيه، أو يطلق الثلاث جميعا، وكل ذلك حرامٌ وتعدّ لحدود الله تعالى، يفعل ذلك في حالة طيش وغضب على أمر لا يستحق الغضب ثم يندم على فعله، فيبحث عن العلماء ويطرق طلاب العلم، ويأتي إلى المحاكم لعله يجد مخرجا مما وقع فيه، ولو التزم حدود الله وامتثل أمره لم يوقع نفسه في حرج.

ومن الناس من يتلفظ بالطلاق على كل شيء، وبأدنى حدث! فيستعمله بدلاً من اليمين، وإذا أراد أن يحلف على نفسه أو على غيره قال: "عَلَيَّ الطلاق!"، فإذا انتقضت يمينه وقع في الحرج وصار يسأل عن الحلول التي تنقذه من الطلاق الذي حلف به، حتى بلغ الطلاق في بلادنا حداً مخيفاً، وصرنا نقدم أكثر من ثلاثين ألف كريمة من كرائمنا سنويا لمصيرهن الحزن، وعشرات الألوف من الأولاد للشئات وربما لأكثر من ذلك!!

أيها الأزواج: هل هان أمر الأسرة على مثل هذا الرجل لدرجة أن يكون حلها بيدي ضيف يؤكد عليه بالجلوس أو نحوه من الأمور؟

أخي الزوج اقرأ سورة الطلاق أكثر من مرة وتأملها جيداً، كم فيها من تذكير بالتقوى، ومخافة الله، وحدود الله، وباليوم الآخر، لماذا هذا التذكير كله؟! إنه يدل على عظمة ميثاق الزواج وحرمته، والتحذير من التساهل فيه، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (٢) بل إنه سمي الطلاق حداً من حدود الله.

٢. ما أمرنا الله به بشأن الحكمين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٣). فكم أثمر تدخل الحكمين من الخير للزوجين.

٣. الإفادة من الجهود المبذولة من قبل مكاتب الصلح في المحاكم ومراكز إصلاح ذات البين في الأحياء، فلهم جهود مثمرة جزاهم الله خير الجزاء.

٤. عدم تخلي الآباء والإخوة والأقارب عن بناتهم وأخواتهم، والوقوف معهن قبل الطلاق وبعده لتحقيق مصلحة كل من الزوجين.

٥. محاسبة النفس فقد يكون الزوج أو الزوجة السبب في هذا الأمر، لسوء العشرة أو جفاء أو غلظة، أو تقصير في حقوق أحدهما على الآخر، فليجلس كل مع نفسه جلسة مصارحة وصدق تظهر الحقيقة..

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٣

(٢) سورة النساء: ٢١.

(٣) سورة النساء: ٣٥.

٦. المشورة. فعلى الزوج أن يستشير من هم أهل، وقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ [سورة الشورى: ٣٨]. قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

٧. الاستشارة: وهي طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما، (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستشارة في

الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن)<sup>(١)</sup>، والأفضل أن يجمع بين الاستشارة والاستشارة؛ فإن ذلك من كمال

الامتثال للسنة. (٢).

عندما تقرر الطلاق:

إذا أخذ الزوج بتلك الوصايا، ولم تصلح الحال، فإن الله جعل الطلاق مخرجاً بعدما تفشل كل الحلول؛ ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ

اللَّهُ كِلَا مَنِ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ (٣).

وعلى الزوج إذا أراد طلاق امرأته أن يطلقها طلقة واحدة، في طهر لم يجامعها فيه قال الله -تعالى-: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا

طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴿٤﴾، (لِعَدَّتِهِنَّ) أي: لزمان عدتهن، وهو الطهر، وذلك بأن يطلقها في طهر لم

يجامعها فيه؛ لأنه لا يجوز طلاق المرأة وهي حائض، ولا أن يطلقها في طهر جامعها فيه، إلا إن تبين حملها فله أن يطلقها وهي

حامل.

ثم ماذا بعد الطلاق .. تعتد في بيت زوجها، ولا يجوز له إخراجها من البيت، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ

فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ

مُبِينَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ [سورة

الطلاق: ١].

وكذلك هي لا يجوز لها الخروج من البيت، ولا تتحجب عنه بل تتجمل له، لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمراً لا يتوقعه

فيراجعها، قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ (٥). فإذا انتهت العدة ولم يراجعها حصلت البينونة منه،

فإن كانت الطلقة هي الأولى أو الثانية فهي البينونة الصغرى، فلا تلح له إلا بموافقتها، ومهر جديد، وإن كانت الطلقة هي الثالثة

فهي البينونة الكبرى، فلا تلح له حتى تنكح زوجاً غيره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧/٢).

(٢) بتصرف: موسوعة نضرة النعيم، (١٩٦/٢)

(٣) سورة النساء: ١٣٠.

(٤) سورة الطلاق: ١.

(٥) سورة الطلاق: ١.

وليحذر كل منهما بعد ذلك إبداء وإفشاء أسرار الآخر، أو ذكر معايبه، أو شحن الأولاد بيبغض أو قطيعة الطرف الآخر. والله المستعان.

أقول لأخي القارئ ما وجدت من صواب فذلك من فضل ربي وتوفيقه، وما وجدت من خلافه فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وأخيراً أسأل الله الكريم أن يصلح حال كل زوج وزوجة، ويجعل بينهما مودة ورحمة، ويكفيهما شر أنفسهما والهوى والشيطان. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعض المراجع: الأفضل أن تذكر المراجع كلها، وأن تذكر الطبقات؛ لأنها مختلفة.

- الفوائد لابن القيم
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داود
- سنن النسائي
- سنن الترمذي
- مسند الإمام أحمد
- تفسير السعدي.
- موسوعة نضرة النعيم.